

ملكوت، عهود، وقانون العهد القديم: معاينة للعهد القديم

الدرس الرابع

"قانون العهد القديم"

عندما نعتزم القيام برحلة طويلة، فإن الحصول على تعليمات موثوقة من شخص يعرف الطريق غالباً ما يساعدنا في رحلتنا. نعم، إن معرفة الاتجاه العامّ يمكن أن يكون ذا فائدة كبيرة لنا في رحلتنا. ولكن غالباً ما تواجهنا حالات معقّدة في الطريق. لذلك يساعدنا الحصول على تعليمات مفصلة.

إنّ شيئاً مماثلاً لهذا ينطبق على أتباع المسيح. نحن نقوم بأعظم رحلة يمكن تخيلها، رحلة تنتهي بمجيء ملكوت الله على الأرض كما في السماء. حسناً نفعّل بأن نضع في أذهاننا هذا المصير النهائي. ولكن السفر في الطريق المسيحي هذا يمكن أن يكون بالغ التعقيد في بعض الأوقات التي نكون فيها بحاجة إلى إرشادات موثوقة ومفصلة. لقد اعطانا الله هذا النوع من الإرشادات في قانون العهد القديم.

هذا هو الدرس الرابع في استعراضنا للعهد القديم تحت عنوان "ملكوت، عهود، وقانون العهد القديم". رأينا في الدروس السابقة أنّ العهد القديم هو كتاب يدور حول مملكة الله وكيف حكم الله هذه المملكة من خلال العهود. أعطينا هذا الدرس عنوان "قانون العهد القديم". إنّ العهد القديم هو "قانوننا"، وهي كلمة تعني "مقياس" أو "معيّار"، وهذا القانون يزوّد شعب الله بالإرشادات المفصلة والموثوقة.

في هذا الدرس سنرى أنه يوجد ثلاث طرق رئيسة لإيصال تعليم العهد القديم إلى شعب الله، وسنصف الطرق الثلاث هذه بصور مجازية. أولاً، سنرى كيف أنّ العهد القديم هو بمثابة مرآة بالنسبة لنا تعكس لنا بسلطان موضوعات تبدو لأول وهلة أنها لا تعنينا. ثانياً، سنتكلم عن العهد القديم بصفته نافذتنا على التاريخ، ونرى كيف يقدم لنا سجلات موثوقة لأحداث ذات مغزى ترشد شعب الله. وثالثاً، سوف ننظر إلى قانون العهد القديم وكأنه لوحة، أي سلسلة من الصور الأدبية هدفها التأثير على شعب الله بطرق معينة.

هذه المقاربات تمثل عدة اهتمامات، وسوف نتفحصهم كل واحدة على حدة. لننظر أولاً إلى كيفية تشبيه العهد القديم بالمرآة التي تعكس الأسئلة التي نضعها أمامها.

مرآة

هل لاحظت يوماً أنك أثناء قراءتك لكتاب ما مع مجموعة من الأصدقاء، أنّ هناك أشياء تلفت انتباهك وأخرى تلفت انتباه الآخرين؟ لو طرحت على المجموعة هذا السؤال، "ما هو أهم شيء قرأتموه في هذا الفصل؟" ستحصل غالباً على إجابات مختلفة، لأن الأشخاص يركّزون على الأمور التي لها أهمية معينة بالنسبة لهم.

عندما نقرأ كتاباً، نتعامل معها غالباً وكأنها مرآة، نرى فيها أنفسنا بقدر ما تعكس هي اهتماماتنا. الرجال والنساء، الكبار والصغار، هذا الشخص أو ذاك، بدرجة أو بأخرى، نركّز جميعاً على ما هو الأهم بالنسبة لنا.

وبطريقة مشابهة كثيراً لما ذكر، يتعامل المؤمنون المخلصون مع العهد القديم كما لو أنه مرآة تعكس اهتماماتهم. إننا نبحث عمّا يقوله العهد القديم حول ما يشغلنا، حتى ولو كانت هذه المواضيع ثانوية في فقرات الكتاب المقدس. سنطلق على هذه المقاربة "التحليل بحسب الموضوع". لأنه يبرز المواضيع أو الأفكار الرئيسية التي تهمننا.

لاستكشاف مقاربات العهد القديم بحسب الموضوع، سوف نتطرق إلى قضيتين: أولاً، أساس التحليل بحسب الموضوع. وثانياً، على ماذا يركّز التحليل بحسب الموضوع. دعونا ننظر أولاً إلى أساس استكشاف العهد القديم بواسطة التحليل بحسب الموضوع. ما هي مبررات هذه المقاربة أو هذا النهج؟

الأساس

هناك طريقتان على الأقل لرؤية أساس التحليل بحسب الموضوع. أولاً، إنّ صفة الكتاب المقدس تحتنا على قراءته على هذا النحو؛ وثانياً، لدينا أمثلة عن كتاب الكتاب المقدس أو عن شخصياته الذين استعملوا

التحليل بحسب الموضوع. لنفكر أولاً كيف أثبتت **الصفة المميزة** للكتاب المقدس صحة التحليل بحسب الموضوع.

صفة الكتاب المقدس أو صفته المميزة

إنّ التحليل بحسب الموضوع هو طريقة مناسبة لقراءة العهد القديم، لأنه مثله مثل أكثرية النصوص الطويلة، فإن فقرات العهد القديم تتحدث عن كثير من المواضيع المختلفة. وفيها مدلولات وتأثيرات لأكثر من قضية في الوقت عينه.

لسوء الحظ، غالباً ما يفكر كثير من المسيحيين ذوي النية الحسنة في معاني فقرات العهد القديم بطريقة ساذجة جداً. ويتصرفون كما لو أنّ فقرات الكتاب المقدس هي شعاع ليزري رفيع من المعلومات. **فقرة تعني هذا وأخرى تعني ذلك**. هؤلاء المؤمنون يركّزون غالباً على **المواضيع الرئيسية** أو البارزة في الفقرة ويغفلون عن المواضيع الثانوية التي أيضاً وردت في النص.

ولكن التفسير المتأني يساعدنا لكي نرى أنّ معاني فقرات العهد القديم، هي في الواقع أكثر تعقيداً بكثير. هذه المعاني لا تشبه الشعاع الليزري، بل بالأحرى هي أكثر شبيهاً بشعاع متدرج ومنتشر من النور. إنّ بعض المواضيع على درجة من الأهمية. نستطيع أن نسميها **المواضيع البارزة** في فقرة ما.

وهناك مواضيع أخرى جرى تناولها بطرق أكثر هامشية، ندعوها **المواضيع الثانوية** في الفقرة. ويجب أن نضيف أنّ بعض المواضيع ليس لها علاقة باهتمامات هذه الفقرات بحيث نستطيع أن نسميها **فقرات ليست ذات صلة أو غير جوهرية**.

إنّ التحليل بحسب الموضوع يقرّ بهذا النوع من المواضيع وغالباً ما يجذب الانتباه إلى سلسلة المواضيع الثانوية أو الأقل أهمية التي تتحدث عنها فقرات العهد القديم. عندما تكون هذه الموضوعات الثانوية هامة بالنسبة لنا، تصبح الموضوع الرئيسي للدراسة بالنسبة للتحليل بحسب الموضوع.

تأمل الآية الأولى في سفر التكوين 1:1، حيث نقرأ "في البدء خلق الله السموات والأرض."

ما الذي تعلمنا إياه هذه الآية؟ يمكن أن نعتقد للوهلة الأولى أنّ الجواب في منتهى البساطة: **تكوين 1:1** تخبرنا أنّ "الله خلق العالم".

إنّ غالبيتنا سيوافقون على الأرجح على أنّ هذه هي الطريقة الصائبة لتلخيص الفكرة الرئيسة في هذه الآية. ولكن إذا حصرنا أنفسنا بهذا الموضوع المركزي، نكون قد تجاهلنا عدة موضوعات أخرى قد تناولتها هذه الآية.

كم من المواضيع أو الأفكار الرئيسة تظهر في هذه الكلمات؟ إنّ هذه الآية تتناول الموضوعات اللاهوتية مثل "يوجد إله" و "الله موجود قبل الخلق". وتقول لنا أيضاً أنّ "الله لديه القدرة الكافية لخلق" و "يجب الاعتراف بالله كخالق".

إنّ الآية في سفر التكوين 1:1 تتناول أيضاً عدداً من الموضوعات حول الخلق. تخبرنا عن حقيقة "حدوث عملية الخلق"، وأنّ "هذا الخلق ليس مكتفياً ذاتياً"، وأنّ "السماء هي بعدّ من أبعاد الخليقة" وأنّ "الأرض هي بعدّ من أبعاد الخليقة".

بسبب تناول هذه الآية لكل هذه المواضيع الثانوية، فنحن مخوّلون شرعاً بالتركيز على أي منها.

إذا كانت آية واحدة في سفر التكوين 1:1 قد احتوت على هذا الكم من الموضوعات، فتخيّلوا عدد الموضوعات الموجودة في فقرات أكبر. إنّ غالبية فقرات العهد القديم تبحث في عدة مواضيع وهذه المواضيع يمكن أن تكون لها روابط لا حصر لها بالعديد من الاهتمامات والأسئلة التي نطرحها. وطالما أننا محترسون في تمييز الفرق بين المواضيع الثانوية والبارزة وبين الموضوعات غير الجوهرية والعرضية، فإنه من المناسب اللجوء إلى طريقة التحليل بحسب الموضوع لنبيّن تعليمات العهد القديم الموثوقة والمفصلة.

أمثلة من الكتاب المقدس

نستطيع رؤية شرعية التحليل بحسب الموضوع بطريقة أخرى وهي ملاحظة أنّ كتابة الكتاب المقدس الموحى لهم أنفسهم، قد استخدموا هذه الطريقة في العهد القديم. فهم غالباً ما كانوا يجذبون الانتباه إلى جوانب نسبياً ثانوية في فقرات العهد القديم لأنها تمسّ مصالحهم الخاصة.

مثال على ذلك لنستمع إلى عبرانيين 11:32-34

"وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزني الوقت إن أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء الذين بالإيمان قهروا ممالك صنعوا براً نالوا مواعيد سدّوا أفواه أسود. أطفأوا قوة النار نجوا من حدّ السيف تقووا من ضعف صاروا أشداء في الحرب هزموا جيوش غرباء".

الآن، إنّ من يقرأ قصص يفتاح وشمشون في سفر القضاة يعرف أنّ هذا السفر قدّمهما كرجلين لا يتمتعان بالكثير من الاستحسان. إنّ الموضوعات البارزة في سفر القضاة تتكلم حصراً عن الإخفاق الشخصي والمعنوي ليفتاح وشمشون. وفي الواقع، كما سنرى في دروس لاحقة، فإن هذا الإخفاق قد تمّ تسليط الضوء عليه ليثبت أنّ القضاة كانوا غير قادرين على قيادة شعب الله.

على الرغم من ذلك، ذكر سفر القضاة، وكموضوع ثانوي نسبياً، أنّ يفتاح وشمشون قد حققا بعض الانتصارات على أعداء الله عندما عادا إلى الله بالإيمان، ولهذا السبب، فإن كاتب العبرانيين كان بمقدوره أن يسلط الضوء على الإنجازات الإيجابية لهذين الرجلين وهو يبحث عن إجابات لأسئلته الخاصة به. وحتى لو أنه كان يطبّق مقارنة بحسب الموضوع على سفر القضاة، مؤكداً على الموضوعات التي تهمة، فإن كاتب العبرانيين ظلّ أميناً لنص سفر القضاة.

التركيز

الآن وقد رأينا أنّ المقاربة بحسب الموضوع لرسالة العهد القديم هي شرعية، علينا أن ننقل إلى ما يركّز عليه التحليل بحسب الموضوع.

لأن المواضيع التي تهمننا تتنوع كثيراً من شخصٍ لآخر، ومن زمنٍ لآخر، ومن مكانٍ إلى مكان، فإننا يجب ألاَّ يُدهشنا وجود عدة مقاربات مختلفة بحسب الموضوع للعهد القديم. وفي الوقت نفسه، باستطاعتنا أن نُميّز بعض الاتجاهات. سنتكلم أولاً عن التركيز على العقيدة، وثانياً عن التشديد على الأمثلة، وثالثاً عن الانتباه للاحتياجات الشخصية.

العقائد

ربما كانت مقارنة العهد القديم من خلال التحليل بحسب الموضوع لدعم العقيدة المسيحية الطريقة الأكثر تأثيراً. ظلَّ يُنظر لآلاف السنين إلى العهد القديم كمصدر العقائد اللاهوتية.

إنَّ اللاهوت المنهجي أو النظامي هو الشكل الأكثر تأثيراً في طريقة التحليل بحسب الموضوع. مثال ذلك، يمكن أن نتساءل: ماذا تقول هذه الفقرة بخصوص طبيعة الله؟ وما تقوله عن حالة الإنسانية؟ وما تقوله عن عقيدة الدينونة والخلص؟ إنَّ هذا النوع من الاهتمامات هي تساؤلات شرعية تُثار عند كل فقرة تقريباً في فقرات العهد القديم لأنها تُناقش على نطاق واسع في الكتاب المقدس. ولكننا يجب أن ندرك حقيقة أنها قد لا تكون دائماً النقطة الأهم في بعض الفقرات التي يمكن أن نقرأها. غالباً ما تُثار هذه الأسئلة بسبب اهتماماتنا الشخصية التي تدفعنا إليها دراستنا للاهوت التقليدي.

هذا النوع من التركيز بحسب الموضوع غالباً ما يأخذ شكل النصوص الداعمة لفكرة ما، أي إشارات سريعة لفقرات العهد القديم. في كل مرة تقريباً نقرأ فيها كتاباً عن اللاهوت المنهجي أو النظامي، وعن قانون الإيمان، أو عن تصريح عقائدي رسمي، نرى أنَّ النصوص الداعمة في العهد القديم تدعم المواقف العقائدية.

لسوء الحظ، فإنَّ العقائد التي يُفترض أن تدعمها النصوص الداعمة تكون في بعض الأحيان غير جوهرية ولا صلة لها بالآية المذكورة، وعندها يمكن أن يبدو الموقف العقائدي وكأنه مُهمَل أو حتى غير نزيه. في الواقع، تعامل بعض اللاهوتيين بهذه الطريقة مع نصوص العهد القديم وتناولوها بشكلٍ فظٍّ وسيءٍ للغاية، وهذا ما دعى آخرون لنبذ عملية النصوص الداعمة بمجملها. ولكن التخلي عن النصوص الداعمة

بسبب سوء الاستعمال ليس من الحكمة في شيء. إنَّ النصوص الداعمة الراسخة جيداً هي عادة صادقة وطرق مفيدة للإشارة إلى المواضيع في فقرات الكتاب المقدس، حتى ولو كانت هذه الموضوعات غير رئيسية في هذه الفقرات.

أمثلة

إنَّ أحد الأشكال المتعارف عليها للتحليل بحسب الموضوع هو الاهتمام بالأمثلة. غالباً ما ننظر إلى العهد القديم بحثاً عن شخصيات لنقلها أو نرفضها.

لسؤ الحظ، إنَّ المؤمنين المسيحيين أساءوا كثيراً استخدام هذه المقاربة مع العهد الجديد، بتناولهم أفكار وأقوال وأفعال شخصيات العهد القديم وتقديمها كنماذج، في حين لا تكون هذه الشخصيات في حقيقة الأمر صالحة كثيراً لتصبح مثلاً يُحتذى. إنَّ إساءة الاستعمال هذه انتشرت على نطاق واسع، بحيث أنَّ عدة علماء وباحثين قد نبذوا هذا النوع من التحليل بحسب الموضوع. ولكن على الرغم من هذه الإساءات، فإنَّ اهتمام طريقة التحليل بحسب الموضوع بالأمثلة، يمكن أن يكون مفيداً جداً لنا.

مثلاً، تأمل جيداً قصة داود وجوليات المعروفة جداً في **1 صموئيل 17**. مرة بعد مرّة لجأ الواعظون إلى داود كمثال. نسمع باستمرار تعظيم ذكر داود لرفضه درع شاول، ولثقته بقدرة الله، ولتحدّيه جوليات. فتعاملوا مع تصرفاته وكلماته وأفعاله وكأنها نماذج يُحتذى بها للطرق التي نحتاجها لنؤمن بالله وليهبنا النصر كذلك.

للأسف الشديد، في العقود الحديثة، أصرَّ عددٌ من المفسرين على أنَّ معاملة داود وكأنه مثال للإيمان في هذه الفقرة، قد أفقدها معناها تماماً. صحيح أنَّ الفكرة البارزة في هذه القصة هي أنَّ الله قد أقام داود ليأخذ مكان شاول كملك على إسرائيل. ولكن هذا لا يعني بحال من الأحوال أنَّ هذه هي الفكرة الوحيدة في هذه الفقرة. إنَّ إيمان داود كان سبيله للانتصار؛ إنه جزء حاسم في هذه القصة لأنه يفسر أحد أسباب تثبيت الله لداود وسلالته. فمن الصواب إذن أن ننظر إلى إيمان داود على أنه موضوع ثانوي في هذه القصة، ومن الصواب أن نتبع مثاله.

إنَّ العهد القديم مليء بالأمثلة التي يمكن أن نقندي بها أو نرفضها. وإن البحث عن هذه الأمثلة هو السبيل الصحيح والمشروع لمعرفة تعاليم العهد القديم الموثوقة والمفصلة.

الاحتياجات الشخصية

في المقام الثالث، المسيحيون يستخدمون التحليل بحسب الموضوع ليكون دليلهم في الاهتمامات الأكثر خصوصية، والتساؤلات التي تولدها صراعاتنا الذاتية واحتياجاتنا.

سمعنا جميعاً عظات من العهد القديم حول مواضيع مثل هذه: كيف نكون أباً وأماً صالحين، كيف نكون ناجحين في العمل، كيف نعبد الله، كيف نتعامل مع صراعاتنا الشخصية والعاطفية. يُنظر بحقٍ إلى فقرات العهد القديم من خلال التحليل بواسطة الموضوع، على أنها السبيل لتقديم هذا النوع من الاهتمامات العملية.

على سبيل المثال، غالباً ما يحلّل رجال الدين فشل داود كأب، ومبادئ القوة الدافعة لعمل يعقوب الشاق لمدة 14 عاماً من أجل زوجته. إنَّ قصة ملكي صادق وإبراهيم تمثلُ ركناً من أركان العبادة في الكنيسة يوم الأحد. ويُظهر الصراع العاطفي لإيليا بعد جبل الكرمل علامات على الكآبة الروحية.

إنَّ التحليل بحسب الموضوع، أي استعمال العهد القديم كمرآة، هو ذو قيمة كبيرة يجب أبدأً أن لا نتجاهلها. ومن الصحيح أن نركّز اهتمامنا على كل موضوع يقدمه الله، حتى على المواضيع الثانوية منها.

نافذة

أمّا الآن وقد رأينا أننا يمكن أن نميّز تعاليم قانون العهد القديم بواسطة التحليل بحسب الموضوع، أصبحنا في وضع يؤهلنا للانتقال إلى موضوعنا الثاني: مقارنة قانون العهد القديم أو النظر إليها كنافذة على التاريخ.

عندما نقرأ كتاباً يدور حول أحداث من الماضي، فمن الطبيعي أن ينصبَّ اهتمامنا على تلك الأحداث التاريخية التي يصفها. في بعض الأحيان، ننشغل كثيراً في قراءة أحداث التاريخ والتركيز عليها حتى أننا

نتوقف عن التفكير بقضايانا الحياتية وبأسلوب الكتاب. وبدلاً من ذلك، ننظر من خلال الكتاب وكأنه نافذة على الماضي.

وبطريقة مشابهة، فإن واحدة من الطرق التي جعلت المسيحيين يخضعون لسلطة العهد القديم كانت في استخدامه كنافذة لاكتشاف أحداثٍ من الماضي، أي تاريخ الخلاص المسجل في الكتاب المقدس. وبسبب هذا التركيز على الماضي، سنسمي هذه المقاربة لقانون العهد القديم، التحليل التاريخي. في هذه المقاربة، نتعرف على أحداث ماضية ونطبّق دروس ذلك التاريخ على حياتنا.

بدرجة أو بأخرى، تعامل المسيحيون المؤمنون دوماً مع العهد القديم كنافذة على التاريخ. حتى في زمن الكنيسة الأولى، عندما كان التحليل بحسب الموضوع مهيمناً، فإن طبيعة العهد القديم التاريخية لم يتم تجاهلها. ولكن في الأربعمئة سنة الماضية، كانت إحدى أهم ملامح العهد القديم هي التاريخ. وكننتيجة لذلك، نجد في يومنا هذا أن كثيراً من المسيحيين يتناولون قانون العهد القديم بالتحليل التاريخي، بتركيز انتباههم على الحدث التاريخي الذي يشير إليه العهد القديم.

لكي نستكشف التحليل التاريخي لقانون العهد القديم، سوف ننظر إلى قضيتين: أولاً، تبرير التحليل التاريخي، وثانياً، ما يركّز عليه التحليل التاريخي. دعونا ننظر أولاً إلى الأساس الذي قامت عليه مقاربتنا للعهد القديم كنافذة على التاريخ.

الأساس

هناك أساليب لا تُحصى لتبرير التحليل التاريخي للعهد القديم، ولكن علينا أن نقتصر في مناقشتنا على اعتبارين. من جهة، طبيعة الكتاب المقدس نفسه. ومن جهة أخرى، أمثلة الكتاب المقدس. هذه العوامل توضح أنه بإمكاننا مقارنة العهد القديم وتناوله بواسطة التحليل التاريخي.

طبيعة الكتاب المقدس

تبعاً لتعاليم يسوع وتلاميذه، يؤكد المسيحيون على أنّ العهد القديم هو "موحى من الله." (أي نفخ الله فيه). كما ذكر بولس الرسول في 2تيموثاوس 3:16:

"كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البرّ."

في هذه الدروس، سوف نبني دراستنا للعهد القديم على يقيننا بأن الأصول الإلهية للكتاب المقدس، تعني أنه عندما يصرّح العهد القديم بأن أمراً ما صحيح، فهو إذاً صحيح.

نستطيع أن نعرض المسألة بهذا الشكل. يعطي العهد القديم العديد من الإدعاءات والإشارات حول ما حدث في التاريخ. ونحن كأتباع للمسيح نؤكد أنّ كل ادعاء تاريخي ذكره الكتاب المقدس يطابق الأحداث التاريخية التي حصلت بالفعل. عندما يعلّمنا العهد القديم أنّ شيئاً ما قد حصل، فإنه يتكلم بسلطة الله ذاته. ولذلك نستطيع أن نكون متأكدين من أنه قد حصل فعلاً.

ومع ذلك، فإن أي شخص على معرفة بالعهد القديم يدرك أنّ التطابق بين العهد القديم والتاريخ الفعلي ليس دائماً مسألة ذات جانب واحد.

أولاً، العهد القديم انتقائي إلى درجة كبيرة بالنسبة للتاريخ الذي يذكره. إنه يحذف الكثير، أكثر بكثير مما يذكر.

سوف نتذكرون ما قاله يوحنا الرسول حول حياة المسيح في يوحنا 21:25:
 "وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدةً واحدةً فلست أظنّ أنّ العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة."

إذا كل هذا صحيحاً أنّ العالم لا يسع للكتب التي تخبرنا كل شيء عن حياة رجل واحد، فيجب أن ندرك أنّ العهد القديم ينقل لنا قسماً ضئيلاً جداً من التاريخ.

في المقام الثاني، علينا أن نعترف أنه كانت هناك اعتراضات كثيرة حول المصادقية التاريخية للعهد القديم.

في بعض الأحيان، كانت المطابقة بين الكتاب المقدس والتاريخ عرضة للشكوك بسبب عدم الإيمان. فإن الله والقوى الطبيعية الخارقة تلعب أدواراً هامة في نظرة العهد القديم للتاريخ. ولذا، يجد غير المؤمنين غالباً، صعوبة في تصديق أن ما جاء في العهد القديم يتطابق والتاريخ الحقيقي. على العكس من ذلك، طبعاً، فإن أتباع المسيح لا يواجهون مثل هذه المشكلة.

في الوقت نفسه، تتحدّى بعض الاعتراضات حتى المؤمنين. أشار العديد من علماء الآثار والجيولوجيين وعلماء آخرون محترفون إلى وجود بيانات تدحض مصادقية العهد القديم التاريخية. يثير الجيولوجيون أسئلة حول قصة خلق العالم والظوفان الذي عمّ الكون في أيام نوح. ويتساءل علماء الآثار عن طبيعة وتاريخ احتلال أرض الميعاد، وكذلك عن التفاصيل المتعلقة بملوك إسرائيل ويهوذا.

لسوء الحظ، تُقنع هذه الحجج العلمية في بعض الأحيان، حتى المسيحيين، لينكروا المصادقية التاريخية للعهد القديم. في الواقع، غالباً ما نسمع اليوم لاهوتيين ذوي نوايا حسنة يؤكدون أن القليل فقط من الأحداث الكبرى في العهد القديم حدثت فعلاً كما وردت فيه. أحياناً يتكلمون عن تاريخ العهد القديم ليس بصفة أحداث فعلية وقعت في زمان ومكان، بل كـ"تاريخ خلاصي" أو "كتاريخ افتدائي". بالنسبة لهؤلاء اللاهوتيين، فإن العهد القديم يُعتمد تماماً وقابل للتصديق في لاهوته ومبادئه الأخلاقية فقط. ولكن بالطبع، فإن تعاليم العهد القديم اللاهوتية والأخلاقية مرتبطة ارتباطاً لا يمكن حلّه بهذه الإدعاءات التاريخية. إن نزع المصادقية التاريخية عن العهد القديم يحطّم المصادقية اللاهوتية والأخلاقية كذلك.

وبالإضافة لهذه المواصفات، علينا أن نعترف أنه ليس من السهل دائماً أن نرى المطابقة بين العهد القديم والتاريخ. ما السبب في ذلك؟ هناك على الأقل ثلاثة أسباب لوجود توتر في بعض الأحيان بين العهد القديم ومصادر معلومات تاريخية أخرى.

أولاً، يُسيء بعض العلماء أحياناً فهم الأدلة التي تدعم مزاعمهم. مهما كان علينا أن نقدر علم الآثار والعلوم الأخرى، فيجب أن يكون واضحاً أنّ العلماء يرتكبون الأخطاء. إنّ استنتاجاتهم هي على الدوام عرضة للتصحيح.

مثلاً، منذ مائتي سنة خلت، أصرّ عدة خبراء بأن العهد القديم كان على خطأ في إشارته للشعب الحثي. ولكن في القرن الماضي، اكتشف علماء الآثار الحضارة الحثية. في الحقيقة، زودتنا الكتابات الحثية العديدة بأفكار مثمرة وعمق نظرة في دراساتنا للعهد القديم. وبذات الطريقة، منذ قرن من الزمان، كان رأي العلماء القاطع بأن التاريخ الذي كتبه العهد القديم للخروج وفتح أرض الميعاد عام 1400 قبل المسيح كان سابقاً للوقت الذي حدث فيه. ومع ذلك، ومنذ عهد قريب، أُعيد تقييم المعطيات الأثرية، وقُدِّمت حُجج قوية حتى بواسطة غير مؤمنين، لصالح ما وصفه الكتاب المقدس.

هذه الأمثلة وكثير غيرها تبرهن على أنّ العلماء يمكن ببساطة أن يكونوا على خطأ.

ثانياً، أحياناً يكون عدم التطابق الظاهر بين سجلات الكتاب المقدس والتاريخ ناشئاً عن سوء فهمنا للعهد القديم.

المثال الكلاسيكي لهذا النوع من الحالات، هو الصراع بين غاليليو والسلطات الكنسية. ادّعى غاليليو أنّ الأرض تدور حول الشمس، بينما ادّعت الكنيسة أنّ الشمس هي التي تدور حول الأرض.

تمركز جزء كبير من هذا الجدل حول سفر يشوع 13:10، حيث نقرأ هذه الكلمات،
"فدامت الشمس ووقف القمر فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل".

ظلت الكنيسة، لمدة قرون، تتمسك بحرفية نص هذه الآية، وتعلّم أنّ الشمس توقفت عن الدوران حول الأرض لمدة من الزمن.

غير أنّ أبحاث العلماء اليوم قد أكّدت أنّ الليل والنهار يسببهما دوران الأرض حول محورها. وكنتيجة لذلك، فإن معظم المسيحيين الآن يفهمون سفر يشوع 13:10 بطريقة مختلفة.

نحن نعرف أنّ ضوء النهار قد دام فترة أطول بأعجوبة لأجل يشوع، ولكننا نعرف أيضاً أنّ توقف الشمس كان مجرد مظهر للأشياء بالنسبة إلى موضع يشوع على الأرض، هذا يشبه كثيراً حديثنا في العصر الحديث عن الغروب والشروق.

إذاً الأدلة العلمية القوية بالنسبة للنظام الشمسي، لم تتسبب في رفضنا لمصادقية العهد القديم. لقد ساعدتنا، بالأحرى لتصحيح تفسيرنا للعهد القديم.

ثالثاً، أحياناً تكون تفسيراتنا للعهد القديم والآراء العلمية على حدٍ سواء خاطئة. ولأننا نعرف أنّ العلماء ومفسري الكتاب المقدس معرّضون للخطأ، يجب أن نفتح على إمكانية أنّ المزيد من الأبحاث يمكن أن يثبت أنّ جانبي هذه المناظرة المثيرة للجدل مخطئان.

يجب علينا الآن أن نضع في أذهاننا أنّ بعض التباينات الظاهرة بين التاريخ الفعلي والعهد القديم يمكن ألاّ تحلّ أبداً. إنّ الخطيئة البشرية ومحدودياتنا غالباً ما تجعل الوصول إلى حلول بعيد المنال. وهناك تباينات لا تحصى بين العلماء الكفوئين التي يبدو أنّ لا حلاً لها. وهذا أيضاً صحيح بالنسبة لتفسير العهد القديم. يمكن أن نحصل غالباً على درجة من الفهم، ولكننا لن نصل إلى درجة أن نجد أجوبة لجميع تساؤلاتنا.

ولكن مهما كانت التوترات بين العهد القديم والعلماء، فإن على المؤمنين أتباع المسيح أن يستنتجوا أنّ وحي الكتاب المقدس هو الذي يرسّخ المصادقية التاريخية للعهد القديم. يمكن أن نتعامل بطريقة صحيحة وباهتمام مع العهد القديم كنافذة معتمدة على التاريخ.

الآن وقد رأينا كيف دعمت طبيعة الكتاب المقدس التحليل التاريخي للعهد القديم، علينا أن ننتقل إلى أساسٍ ثانٍ لوجهة النظر هذه: أمثلة الكتاب المقدس. لا يوجد في كل الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، مثال واحد يتساءل فيه كتبة الكتاب المقدس عن الحقيقة التاريخية للعهد القديم.

مثال على ذلك، في أخبار الأيام الأول 1:1-4، بدأ كاتب الأخبار سلالة الأنساب كالتالي: "آدم، شيت، أنوش، قينان، مهللئيل، يارد، أخنوخ، متوشالح، لامك، نوح، سام، حام، يافث."

بالنسبة لمسيحي العصر الحديث فإن كاتب سفر أخبار الأيام قد قام بعمل بارع هنا. تعامل مع سفر التكوين كمصادقية تاريخية وكسفر موثوق به. فقد ذكر ثلاثة عشر رجلاً من افتتاحية إصحاحات سفر التكوين. أكثر الناس

العصريين يعتبرون ما كُتب عن هؤلاء الرجال سجلاً أسطورياً أو خيالياً. ولكن كاتب سفر الأخبار استعمل سفر التكوين، كما استخدم الأسفار العديدة الأخرى في العهد القديم، كنافذة موثوقة وذات سلطة على التاريخ.

وبطريقة مماثلة، تأملوا مثال ما سجّله لوقا عن خطبة استيفانوس في أعمال الرسل 7. تكلم استيفانوس، مستخدماً أقساماً من العهد القديم، عن إبراهيم، إسحاق، يعقوب، يوسف، موسى، هارون، يشوع، داود وسليمان كشخصيات تاريخية، وأكد أنّ القصص التي تدور حولهم في العهد القديم كانت واقعية. فبالنسبة إلى استيفانوس، فإن القصص التاريخية التي نقلت في العهد القديم كانت حقيقية.

برهن كتبة الكتاب المقدس وشخصياته مرة تلو الأخرى عن تصديقهم للمطابقة بين قصص العهد القديم التاريخية والوقائع التاريخية الفعلية. نظروا إلى العهد القديم كنافذة على التاريخ. وباقتدائنا بهم، علينا أن نفعل مثلهم اليوم.

التركيز

الآن، يجب أن ننقل اهتمامنا لموضوع آخر: ما هي النقطة المركزية للتحليل التاريخي؟ ما هو هدف هذه المقاربة أو هذا النهج من قانون العهد القديم؟

في القرن الأخير، لقي شكل من أشكال التحليل التاريخي شعبية تحت عنوان "لاهوت الكتاب المقدس"، لأن نظام لاهوت الكتاب المقدس يشير هذه الأيام لعدة مقاربات مختلفة للكتاب المقدس.

ولكن يمكن وصف أحد أشكال لاهوت الكتاب المقدس الأكثر تأثيراً بأنه يركّز على خطوتين أساسيتين: أولاً، خلق "لقطة متزامنة" بالنظر إلى حقبة من الزمن في العهد القديم كوحدة، وثانياً، القيام بتتبع أثر تمادي الزمان، أي النظر إلى الصلة بين الأحداث عبر الزمن. بالطبع، إن هاتين الخطوتين مرتبطتان إحداهما بالأخرى وتعملان معاً في مجالات لا حصر لها. ولكن بالنسبة لما نهدف إليه فإنه مما يساعدنا أن ننظر إلى كل واحدة منهما على حدة.

لقطة متزامنة

في خطوة اللقطة المتزامنة، يقسم لاهوتيو الكتاب المقدس العهد القديم إلى فترات زمنية ويعملون على استكشافها.

إنهم يلخصون الشبكة المعقدة من الأحداث التي وقعت في ذلك الزمان، ويتعاملون معها كوحدة تزامنية، كسريحة من الزمن. ويركّزون عادة على كيفية تأثير هذه الأحداث على تفاعل الله مع شعبه.

وكنتيجة لذلك، توجد لقطة متزامنة لكل حقبة في العهد القديم.

الآن علينا أن نكون حذرين هنا. كما رأينا في درس سابق، فتاريخ العهد القديم يتدفق باستمرار، كما تتدفق مياه النهر نحو البحر. إن هذا التاريخ يتطور ويتوحد في أجزائه ولذلك، فإن تقسيم العهد القديم إلى فترات هو إلى حد ما تقسيم مصطنع دائماً. فكما يمكن تقسيم النهر إلى نقاط مختلفة على طول مجراه لاستعمالات متنوعة، فهناك الكثير من طرق الاستفادة من جراء تقسيم تاريخ العهد القديم لخلق لقطات متزامنة منه.

في الواقع، أنّ المعايير الذي نستخدمها في تقسيم العهد القديم إلى عصور، يؤثر بشدّة على التقسيمات التي أوجدناها. مثال ذلك، في دروس سابقة في هذه السلسلة، عندما كنّا نفكر بتطوّر مملكة الله على الأرض، تكلمنا على هذا الأساس عن بداية الأزمنة التاريخية، وعن فترة تاريخ أمة إسرائيل القومي. وطبعاً أضفنا فترة العهد الجديد إلى تقسيمات العهد القديم هذه.

عندما ركّزنا في درسٍ آخر على العهود، تكلمنا عن عصر العهود العالمية وعصر العهود مع إسرائيل. وأضفنا لهم الميثاق الجديد للعهد الجديد. ثمّ أعدنا تقسيم العهود العالمية إلى أزمنة آدم ونوح. وكذلك أعدنا تقسيم الفترة الزمنية للعهود القومية إلى أزمنة إبراهيم، وموسى وداود. ومن ثمّ أضفنا الميثاق الجديد في المسيح. ساعدتنا هذه التقسيمات لنرى كيف استخدم الله العهود ليحكم مملكته.

يظهر أسلوب آخر في الفصل السابع من كتاب "وستمنستر" للاعتراف بالإيمان. يقسم الاعتراف بالإيمان العهد القديم إلى زمن "ميثاق الأعمال" قبل خطيئة آدم، وإلى "ميثاق النعمة" الذي يغطّي ما تبقى من تاريخ الكتاب المقدس. ثمّ يقسم ميثاق النعمة بين الفترة المسماة "تحت الشريعة"، أي زمن العهد القديم، والفترة التي دعيت "تحت الإنجيل" أي العهد الجديد.

في القرن الأخير، قسّم اللاهوتي "غيرهاردوس فوس"، الذي يتمتع باحترام كبير، العهد القديم بحسب التغييرات الرئيسية في شكل ومضمون الوحي الإلهي. تكلم عن "الحقبة ما قبل الخلاصية"؛ و"الحقبة الخلاصية الأولى"؛ والفترة الزمنية من السقوط بالخطية وحتى طوفان نوح؛ والفترة الزمنية ما بعد الطوفان التي تقود إلى الآباء الأولين؛ فترة الآباء الأولين؛ فترة موسى؛ ثمّ فترة النبوءات بعد موسى. وبالطبع تكلم أيضاً عن فترة العهد الجديد.

الآن بعد أن يتم تحديد فترة زمنية ما، فإن عمل اللاهوتي يكون في التركيز على شبكة الأحداث التاريخية التي تكشف عن الله وإرادته في تلك الفترة. في فترات معيّنة، يكون لبعض الأحداث أدوار تكوينية أكثر من غيرها. يركّز لاهوتيو الكتاب المقدس كما هو معهود على الأحداث الأكثر مركزية في كل فترة من فترات العهد القديم.

لنأخذ مثلاً على ذلك فترة الوعد، وفترة الآباء الأولين في إسرائيل، إبراهيم وإسحق ويعقوب. أظهر الله نفسه في هذه الفترة بداية بواسطة الخطاب المباشر، والرؤى والأحلام. كان هناك تركيز عرقي على ذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب. أقام الآباء طقوس العبادة في العديد من المذابح. كما وأعطى الوعد بذرية كبيرة إلى الآباء. والأرض كانت موعودة للآباء أيضاً. هذا النوع من الملاحظات هو محاولة لوصف فترة الآباء الأوليين ككل.

قد يختار لاهوتيو الكتاب المقدس أن يركزوا على فترة الناموس، أي زمن موسى. في تلك الأزمان أعلن الله عن نفسه أولاً من خلال ناموس موسى. نمت إسرائيل لتغدو أمة، وكان الهيكل مركز العبادة. ازداد شعب إسرائيل زيادة كبيرة، وقاد الله إسرائيل لامتلاك الأرض الموعودة. هذه الأحداث قد ميّزت حقبة موسى ككل وأعطتنا نظرة خاطفة على هذه اللحظة من تاريخ الكتاب المقدس.

اقتفاء أثر تغيير الأحداث عبر الزمن.

بالإضافة إلى اللقطات المتزامنة، فإن لاهوت الكتاب المقدس ينتقل عادة إلى مرحلة ثانية هي اقتفاء أثر تغيير الأحداث عبر الزمن. لذا، يركز اقتفاء أثر تغيير الأحداث عبر الزمن على الطرق التي ترتبط بها أحداث الكتاب المقدس ببعضها البعض من فترة إلى أخرى.

في الوقت الذي تمّ فيه تحديد الأحداث التي تشكّلت في كل فترة، أصبح واضحاً بأن أحداثاً مرتبطة ببعضها ارتباطاً مباشراً تحدث في كل عصر. هذه الأحداث مرتبطة ببعضها لعدة أسباب، ولكن لاهوتيو الكتاب المقدس يسجلون ملاحظاتهم حول هذه الارتباطات ويتبعون الطريقة التي تعكس بها هذه السلسلة من الأحداث التطورات الناتجة. إنّ مقارنة الأحداث في كل عصر تكشف غالباً الاتجاهات أو السبل التي تتبعها الكتاب المقدس.

لنأخذ مثلاً على اقتفاء أثر الزمن بأن نبدأ ثانية بفترة الآباء المتعلقة بالوعد. بالنسبة لما نرمي إليه، دعونا نركز على دور الله لإعطاء أرض كنعان إلى إبراهيم.

في تكوين 18:15، نقرأ الكلمات التالية:

"في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً. لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات."
في هذا الوقت وعد الله إبراهيم بأرض كنعان لنسله.

ولكن فهم واقعة وعد الله لإبراهيم بالأرض في فترة الآباء بمعزل عن سواها لا يكفي. يريد لاهوتيو الكتاب المقدس أيضاً أن يعرفوا أيّ أحداث ماضية شكّلت خلفية وعد احتلال أرض كنعان، وكيف تكشف الأحداث المستقبلية أهميته.

بالرجوع إلى الماضي، يمكننا أن نتوجه إلى الفترة الأولى من تاريخ الكتاب المقدس، أي فترة العصور البدائية التي تمتد من آدم إلى نوح. أثناء ذلك الوقت، أمر الله آدم وحواء أن يسودا على الأرض كلها ويخضعوها.

كما نقرأ في تكوين 28:1

"وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا وأملأوا الأرض وأخضعوها
وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب
على الأرض."

عندما كان العالم بدون خطية، كان من الممكن تحقيق السيادة والسيطرة بدون مشقة. ولكن الخطية جعلت هذه العملية معقدة، وجعلت جهود الإنسانية صعبة وعقيمة.

كما قال الله بذاته لآدم في تكوين 3:17

"ملعونّة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك."

على الرغم من ذلك، حتى عندما عَظُم الشرّ الإنساني بحيث أنّ الله اضطرّ إلى تدمير العالم في أيام طوفان نوح، أبقى الله على خطّته ليأتي بملكوته إلى الأرض بواسطة رجال ونساء مؤمنين.

كما أمر الله نوحاً فوراً بعد الطوفان في تكوين 1:9
"أثمروا واكثروا واملأوا الأرض."

على الرغم من الصعوبات التي سببتها الخطية، توقع الله من البشرية المفدية أن تُخضع الأرض وتتسلط عليها.

إنَّ وعد الله بالأرض للآباء كان خطوة إلى الأمام باتجاه إنجاز نداء الله للإنسانية لتسود على الأرض. في العصور البدائية، دعى الله الذين على صورته لبناء ملكوته على الأرض بامتلاك السيادة. ومضى الله في تعبيره عن السيادة والتسلط إلى أبعد من ذلك عندما دعى إبراهيم وذريته لامتلاك أرض كنعان الموعودة.

لكن هذه الخطوة من الإنجاز في فترة الآباء كانت أيضاً خطوة نحو إنجاز أعظم مستوى في المستقبل.

كما وعد الله إبراهيم في تكوين 18:22

"ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض."

تذكّرنا هذه الآية أنَّ الله أعطى الأرض الموعودة لإبراهيم ونسله، وهي بمثابة نقطة بداية ينطلقون منها ليقودوا كل أسر الأرض نحو بركات الفداء ونحو السيادة على كل الأرض بطريقة تمجد الله.

لهذا السبب، فإن اقتفاءنا للأثر الزمني للسيادة الإنسانية على الأرض يجب أن يتجه للأمام نحو فترة الخروج والفتوحات، أيام موسى وخادمه يشوع. في تلك الفترة، أسس الله إسرائيل في الأرض الموعودة كموطن قومي لها.

كما قال الله ليشوع في يشوع 6:1 "تشدد وتشجع. لأنك أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التي حلفت لآبائهم أن أعطيهم."

وعد الله بالأرض لإبراهيم قد تطوّر وتعزّز عندما امتلكت إسرائيل الأرض الموعودة.

إنَّ الامتلاك الأولي للأرض في زمن الخروج والفتوحات، تحقق وتطوّر أبعد من ذلك في فترة الإمبراطورية عندما كان لإسرائيل ملك وهيكل. إنَّ الأمن في الأرض الذي رسّخه بيت داود، كان خطوة أخرى نحو تقوية وتوسيع رقعة الفتوحات الأولية للأرض. لكن هذا الواقع الإمبراطوري في تلك الفترة توقّع أيضاً يوماً أعظم في المستقبل عندما سيُمتد حكم بيت داود على كل الأرض.

نقرأ في مزموّر 72:8-17 عن هذا الرجاء في بيت داود

"ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض... ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له... ويتباركون به. كل أمم الأرض يطوبونه."

إذا استطاع بيت داود إثبات ولائه للرب، فإن المملكة ستمتد إلى أقاصي الأرض.

من المحزن أنّ هذا الأمل في بيت داود واجه انهياراً مروّعاً أثناء زمن السبي ومحاولة العودة الفاشلة. كان هذا في الحقيقة زمن الفشل. هذه الفترة أصبحت نكسة فظيعة لسيادة شعب الله على الأرض كلها. وأكثر من هذا، انتهت هذه الفترة حتى بالفشل. أعاد الله عدداً من بني إسرائيل إلى الأرض وأقام زربابل، سليل داود، كحاكم على شعبه، ووهبه نصراً عظيماً.

كما نقرأ في حجي 2:7-9

"وأزّزل كل الأرض ويأتي مشتهي الأمم فأماًلاً هذا البيت مجدداً... مجد هذا البيت يكون أعظم من مجد الأول... وفي هذا المكان أعطي السلام."

لو كان بنو إسرائيل مخلصين، لكان النصر حليفهم، ولكانت بركة الفداء قد بدأت تنتشر في كافة أنحاء العالم. ولكنّ الإسرائيليين الذين عادوا إلى الأرض ثاروا متمردين ضد الله مراراً وتكراراً، بحيث أنّ عودتهم كانت فشلاً ذريعاً.

إنَّ دعوة الله لأدم ونوح ليتسلطوا على الأرض، ووعد الآباء، والوطن القومي لبني إسرائيل، ونجاحات الحكم الملكي، وآمال العودة الأولية، كلها قد انهارت. وبحلول نهاية العهد القديم، كان هدف سيادة الإنسانية على الأرض قد انهار.

عند هذه المرحلة، يتجه لاهوتيو الكتاب المقدس المسيحيون إلى المرحلة النهائية من تاريخ الكتاب المقدس، وهي ذروة التاريخ في **العهد الجديد**. يؤكد العهد الجديد للمؤمنين أنَّ الله كان يعمل في المسيح لينقض أو يعكس فشل السبي والإخفاق في العودة إلى الأرض. أتى يسوع ليبطل ويعكس لعنة السبي، ويجلب الحرية والقداء من الخطية.

كما قال يسوع نفسه في سفر الرؤيا 26:2

"ومن يغلب ويحفظ أعماله إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم."

هذه الصورة التوضيحية تظهر بكل وضوح أنَّ التحليل التاريخي لديه الكثير ليقدمه. وبالنظر من خلال العهد القديم إلى التاريخ الذي يركز عليه، نستطيع أن نجد عدة طرق لاتباع قانون العهد القديم كمرشد موثوق وتفصيلي.

الصورة

الآن وقد رأينا كيف يوجّهنا العهد القديم ويعطينا الإرشاد من خلال التحليل بحسب الموضوع ومن خلال التحليل التاريخي، يجب أن نحول انتباهنا إلى استعارة ثلاثة للعهد القديم، وهي الصورة المجازية.

إنه لأمر رائع أن ننظر بعناية إلى لوحة بديعة، ولكن مما يساعدنا كثيراً أن تكون لدينا معلومات عن الفنانين وتاريخ رسوماتهم ولوحاتهم. لكننا يمكن أن نلاحظ كيف يبدي هؤلاء الفنانون وجهات نظرهم ومشاعرهم للآخرين بطريقة استعمالهم للون، والخط، والنسيج (أي قماش اللوحة).

وبطريقة مشابهة تقريباً، يمكننا أن نتعامل مع قانون العهد القديم كصورة من خلال عملية سندعوها التحليل الأدبي. في هذا النهج، ننظر إلى قانون العهد القديم كمجموعة أعمال أدبية، أي أسفار قد تمَّ تأليفها بمهارة.

نتعلم أن نقدر الفن الأدبي في العهد القديم، وأن ندرك كيف نقل كتاب العهد القديم وجهات نظرهم إلى القراء الأصليين. وبينما نستكشف العهد القديم بواسطة التحليل الأدبي، سنكتشف طرقاً إضافية تمارس فيها قانون العهد القديم سلطتها علينا.

بالرغم من أن أتباع المسيح أخذوا دائماً في حسابهم الصفات الأدبية لأسفار الكتاب المقدس إلى حد ما، إلا أنه في السنوات الأخيرة فقط، انتقل هذا النهج إلى المقدمة. في الماضي، تعاملت غالبية اللاهوتيين مع العهد القديم عن طريق التحليل بحسب الموضوع والتحليل التاريخي. ولكن في العقود الأخيرة، أكد العديد من العلماء بأن كل محاولة للتواصل، سواء في الكتاب المقدس أم لا، تعبر إلى أكثر بكثير من مصالح المترجمين وحقائق التاريخ. إن هدف التحليل الأدبي هو أن يكشف عن التأثير المقصود للتواصل الذي أراده كتاب قانون العهد القديم على الناس الذين تلقوها أولاً.

لكي نستكشف كيف يمكن أن ننظر إلى العهد القديم كصورة، سنتكلم أولاً عن القاعدة أو الأساس لاستخدامنا التحليل الأدبي للعهد القديم؛ وثانياً، سنتفحص ما يركّز عليه التحليل الأدبي. دعونا ننظر أولاً إلى مبررات التحليل الأدبي. لماذا تعتبر هذه المقاربة (أو هذا النهج) للعهد القديم صحيحة وشرعية؟

الأساس

إن شرعية التحليل الأدبي يمكن تثبيتها بطرق مختلفة، ولكن في هذا الدرس سنؤكد على سببين مألوفين: أولاً، طبيعة (أو خصائص) العهد القديم بحد ذاتها؛ وثانياً، أمثلة من كتبة الكتاب المقدس. لنأمل أولاً كيف تشير طبيعة العهد القديم نفسها إلى قيمة المقاربة الأدبية.

طبيعة الكتاب المقدس (أو خصائصه)

تصادق بعض خصائص العهد القديم على صحة التحليل الأدبي. أولاً، وصلت إلينا قانون العهد القديم في شكل أسفار أو وحدات أدبية؛ ثانياً، تعرض هذه الأسفار خصائص أدبية متطورة؛ وثالثاً، يوجد في العهد القديم الكثير من التنوع الأدبي.

دعونا نفكر أولاً بحقيقة أن العهد القديم قد وصل إلينا على شكل أسفار أو وحدات أدبية.

على المستوى الأساسي، يستند التحليل الأدبي على حقيقة أن العهد القديم هو مجموعة من الكتابات الأدبية. إنَّ لمحة سريعة على جدول محتويات الكتاب المقدس (في نسخة حديثة) تكشف لنا أنَّ العهد القديم يحتوي على 39 سفرًا. لائحة الأسفار هذه مألوفة للكثيرين منّا:

(تكوين، خروج، لاويين، عدد، تثنية، يشوع، قضاة، راعوث، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني، عزرا، نحميا، أستير، أيوب، المزمير، أمثال، سفر الجامعة، نشيد الأنشاد، اشعيا، ارميا، مراثي ارميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوشع، عاموس، عوبديا، يونا، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفيان، حجي، زكريا، ملاخي).

بقدر ما هو مهم أن تكون هذه القائمة من الأسفار مألوفة بالنسبة لنا، فإنه ينبغي علينا أن نشير إلى خصائص عديدة علينا ألا ننساها.

أولاً، أنَّ أسماء الأسفار التي نجدها في كتبنا المقدسة ليست أصلية. بعض الأسماء مأخوذة من التقاليد اليهودية الأقدم، والبعض من الترجمة السبعينية، الترجمة اليونانية القديمة للعهد القديم ذات التأثير، والبعض من التقاليد المسيحية التي تلت. ولكن التفاصيل الأكثر أهمية في هذا الوقت تتعلق بصموئيل الأول وصموئيل الثاني، الملوك الأول والملوك الثاني، وأخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثاني. هذه الأسفار الستة في كتبنا المقدسة الحديثة كانت في الأصل ثلاثة أسفار فقط هي: صموئيل، وملوك، وأخبار الأيام.

وبالإضافة إلى هذا، من المحتمل أنَّ سفري عزرا ونحميا كانا في الأصل أيضاً سفرًا واحداً. في التحليل الأدبي نحن مهتمون بأسفار العهد القديم كما أعطيت لنا في الأصل. لذا من المهم أن نبقي هذه الخصائص في أذهاننا.

ثانياً، الترتيب الذي تظهر فيه الأسفار في العهد القديم اختلف على مدى التاريخ. على سبيل المثال، في التقليد اليهودي، القسم الأخير من الكتاب المقدس يختلف عن كتابنا المقدس، وهو يُدعى الكتابات ويحتوي على الأسفار التالية: المزمير، أمثال، أيوب، نشيد الأنشاد، راعوث، مراثي ارميا، جامعة، أستير، دانيال، عزرا، نحميا، وأخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثاني.

على الرغم من هذه الاختلافات، فما زال واضحاً أنّ قانون العهد القديم هي مجموعة من الكتابات الأدبية، لذا فإنه من الملائم تماماً أن نستخدم التحليل الأدبي.

بالمقارنة مع التحليل بحسب الموضوع والتحليل التاريخي، فإن النظر إلى العهد القديم كصورة بواسطة التحليل الأدبي هو محاولة لوضع نموذج لفهمنا للعهد القديم مثل نماذج قانون الكتاب المقدس. بالطبع الطريق الوحيد لنتجنب بالكامل إعادة ترتيب ما نجده في العهد القديم هو أن ندع قانون العهد القديم بالضبط كما هي: أي غير محلّلة، وغير مفسّرة، وغير مطبّقة-وحتى غير مترجمة. لذا فإن بعض من إعادة الترتيب لا يمكن تجنبه.

على الرغم من هذا، فإن التحليل الأدبي يرمي إلى التقليل من إعادة الترتيب، باحثاً عن الوحدات الأدبية وأولويات العهد القديم نفسه. عندما ننظر إلى قانون العهد القديم كصورة، فإننا نسعى لتتعرف على الاهتمامات اللاهوتية المتميّزة لسفر التكوين كالتكوين، وسفر الخروج كالخروج، وسفر اللاويين كاللاويين، وهكذا. نحن نحاول أن نعطي لكل ذي حق حقه، وأن نبرز في تفسيرنا ما هو بارز في تلك الأسفار.

بالإضافة إلى حقيقة أنّ قانون العهد القديم تتألف من وحدات أدبية بدلاً من وحدات بحسب الموضوع أو وحدات تاريخية، فإن التحليل الأدبي تبرّره حقيقة أنّ أسفار العهد القديم تعرض خصائص أدبية متطورة. إنّ التطور الأدبي لأسفار العهد القديم يستدعي إعطاء الاهتمام الدقيق بخصائصها الأدبية.

من التجربة المشتركة، كلنا يعرف أنّ بعض أنواع الكتابات تعرض من المهارة الفنية الأدبية المعقّدة أكثر من غيرها. سيكون غريباً على سبيل المثال أن تجد قائمة تسوّق مكتوبة بشكل قصيدة شعرية موزونة. ونادراً ما تكون مذكرة على شكل رواية أدبية. عندما نقرأ كتابات منفردة، فإننا لا نحتاج عادة لأن نعير انتباهنا لخصائصها الأدبية.

في القرون الأخيرة، وجد علماء الآثار سلسلة واسعة من المواد المكتوبة من عالم العهد القديم. لدينا رسائل بسيطة، ولوائح، وإيصالات، وما شابه، وجميعها لا تُظهر الكثير من التعقيد الأدبي. لكن علماء الآثار

اكتشفوا أيضاً أعمالاً أدبية رائعة من الشرق الأدنى القريب. سمع الكثيرون منّا عن "إينوما إيليش"، و "ملحمة جيلجامش". و"دوائر بعل". هذه كانت أعمالاً أدبية متنوعة تمّ تأليفها بمهارة فنية عظيمة.

ولكن بدون شك فإن أسفار العهد القديم هي من بين الأعمال الأدبية الأكثر إتقاناً التي كانت معروفة من العالم القديم. أي مسرحية يمكن أن تكون أكثر تعقيداً وتطوراً من سفر أيوب؟ وأي قصة يمكن أن تفوق حبكة سفر التكوين؟ وأي شعر يمكن أن يُرْسَخ في الذاكرة أكثر من مزموّر 23؟

إنّ الخصائص الأدبية لأسفار العهد القديم هي التي أعطتها القدرة على التواصل الفعّال. إنّ الخصائص الفنية لأدب العهد القديم هي الوسيلة التي أبلّغنا بها كتابة العهد القديم برسائلهم. نحن ندرك قوة التواصل-التأثير المنشود- لأسفار العهد القديم فقط عندما نتعلم كيف نقدّر خصائصها الأدبية. ولهذا السبب، فإن التحليل الأدبي هام.

بالإضافة إلى هذه الاعتبارات، يجب أن نستخدم التحليل الأدبي للعهد القديم نظراً لتنوع الأشكال الأدبية التي يتضمنها.

إنّ قانون العهد القديم ليست أرضاً منبسطة متماثلة في طريقة كتابتها على كل صفحة من صفحاته. على العكس من ذلك، إنها منظر طبيعي متنوع فيه الجبال، والأنهار، والبحيرات، والسهول الخصبة، والصحاري، والمحيطات. إنّ العهد القديم يحتوي على أنواع متنوّعة من أشكال الأدب.

بعض أسفار العهد القديم هي بالدرجة الأولى روائية، مثل سفر التكوين ويشوع. هذه الأسفار تحتوي على خيط طفيف من أنواع أخرى مثل علم السلالات، والشعر، والعبادة، والقوانين الاجتماعية. ثم هناك الأسفار الأخرى التي هي بالدرجة الأولى شعرية، مثل المزامير وأيوب. أمّا سفر الجامعة وملاخي فإنهما يتبعان الأسلوب النثري، ويتضمن سفر التثنية على خطابات، إلى ما هناك.

إنّ إدراكنا لتشكيلة الأنواع الموجودة في العهد القديم هام لأن لكل نوع طريقته الخاصة لإيصال تأثيره. الناموس يجب أن يُقرأ على أنه ناموس، والخطابات كخطابات، والقصص كالقصص، والقصائد كقصائد،

والرؤى كروى، والأقوال المأثورة كأقوال مأثورة، والسلالات كسلالات. لنكتشف قوة فقرات العهد القديم على تغيير حياتنا، يجب أن نأخذ في اعتبارنا نوعية الأدب الذي استخدمه كتبة العهد القديم ليخاطبوا جمهورهم. إنَّ في جوهر التحليل الأدبي هو أخذ هذا التنوع بالأشكال في عين الاعتبار.

بالإضافة إلى طبيعة الكتاب المقدس نفسها، التحليل الأدبي مبني على حقيقة أنَّ شخصيات الكتاب المقدس استخدموا التحليل الأدبي. في كل مرة فسّر كتبة الكتاب المقدس فقرات العهد القديم، بتركيزهم على الاهتمامات الرئيسة للكاتب البشري نحو جمهوره، كانوا يستخدمون مقداراً كبيراً من التحليل الأدبي.

على سبيل المثال، في إنجيل مرقس 4:10 ركّز يسوع على التحليل الأدبي عندما تطرق إلى موضوع الطلاق في سفر التثنية 1:24. كما نقرأ في هذه الفقرة، تحدّى بعض الفريسيين يسوع في هذا الشأن بقولهم له: "أذن موسى أن يكتب كتاب طلاق فتطلق". فسّر بعض الفريسيين هذه الآية على أنها تعلم أنّ الرجل يستطيع أن يطلق المرأة لأي سبب كان. ولكن يسوع صحّح هذا التفسير الخاطئ بتركيزه على الاعتبارات الأدبية.

قال يسوع هذه الكلمات في مرقس 5:10، معلّقاً على ما ورد في تثنية 1:24
"من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية."

من المهم أن نرى أنّ يسوع لم ينظر حصراً إلى نصّ سفر التثنية والإصحاح 24. لكنه بدلاً عن ذلك، نظر إلى تلك الفقرة على ضوء ما كان يعرفه عن موسى وبني اسرائيل في القديم. عرف يسوع عن قساوة قلوبهم وعرف قلق موسى تجاه بني اسرائيل عندما أعطاهم ناموسه. فشل بنو اسرائيل في الأخذ في الاعتبار هذه الاهتمامات الأدبية. بينما أدرك يسوع أهمية هذه العوامل.

مثال آخر على التحليل الأدبي يظهر في غلاطية 4:22-24. لنصغ إلى ما كتبه بولس عن سارة وابنها اسحق، وعن هاجر وابنها اسماعيل.

"فإنه مكتوب أنه كان لابراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرّة. لكن الذي من الجارية وُلد حسب الجسد وأمّا الذي من الحرّة فبالموعد. وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان..."

هناك في هذه الآيات والسياق الذي وردت فيه أكثر بكثير مما نستطيع أن نتحدث عنه في هذا الوقت، لكن دعونا نركز على لبّ التفسير الذي أعطاه بولس. في الآية 24، قال بولس إنّ سارة واسحق، وهاجر واسماعيل "قد يؤخذون كرمز" لأنهم يمثلون ميثاقين. وبكلمات أخرى، أدرك بولس أنّ هذه الشخصيات لديها مدلولات أو مضامين لاهوتية عظيمة للعيش في ميثاق مع الله.

لإدراك هذه المدلولات، دعونا ننظر أولاً إلى الأحداث في حياة ابراهيم. واجه ابراهيم طريقان بالنسبة إلى علاقته مع الله، وكان عليه أن يختار أحدهما: سارة واسحق من ناحية، وهاجر واسماعيل من ناحية أخرى. من جهة كان ابراهيم مخلصاً لله عندما اعتمد على الله للإيفاء بوعدته لإعطائه ابناً بواسطة سارة. هذا الطريق كان صعباً، لكنه كان الطريق المؤدي إلى بركة الله.

من جانب آخر، كان ابراهيم مع ذلك غير مخلص لله عندما اعتمد على جهوده الخاصة ليكون له طفل، وذلك من خلال هاجر. هذا السبيل الذي اعتمده بالاتكال على جهوده الشخصية أدّى إلى حكم الله ضد ابراهيم. دعونا نلتفت الآن إلى الطرق التي استخدم موسى فيها هذه الأنماط والنماذج عندما كتب سفر التكوين إلى بني اسرائيل.

سرد موسى هذه القصص في سفر التكوين لأنها تمثل أسلوبين للحياة واجههما قراءه في زمنهم.

من جانب، دعا موسى الإسرائيليين لكي يكونوا مخلصين لله بالاتكال على الله لإنجاز وعده. الاتكال على الله وعلى وعده كان أمراً صعباً، ولكنه كان الطريق المؤدي إلى البركة.

ومن جانب آخر، دعا موسى الإسرائيليين ألاّ يعتمدوا على الجهود البشرية بالعودة إلى مصر كما فعل ابراهيم عندما التجأ إلى الخادمة المصرية هاجر. إنّ العودة إلى مصر تؤدي إلى دينونة الله.

طبّق الرسول بولس هذه القصص عن ابراهيم على الغلاطيين على ضوء غرض موسى الأصلي. من جهة، كما كان ابراهيم مخلصاً لله باعتماده عليه بوعده بطفل من خلال سارة، كان على الغلاطيين أن يكونوا مخلصين لله بالاعتماد عليه لإنجاز وعده المرتبط بالإنجيل من خلال المسيح. وهذا الطريق يؤدي إلى بركات أبدية.

ومن جهة أخرى، مثلما تجرّب ابراهيم ألا يكون مخلصاً لله باعتماده على الجهود البشرية ليكون له ولد من هاجر، تجرّب الغلاطيون بعدم الإخلاص لله باعتمادهم على جهدهم البشري لنيل الخلاص. وهذا الطريق يؤدي إلى دينونة أبدية.

كان لابد أن يختار الغلاطيون بين الإنجيل الحقيقي من بولس وبين أنجيل مزيف كان قد وصل إلى كنائسهم. الإنجيل الحقيقي هو أن الخلاص يأتي من الوثوق في وعود الله في المسيح. الإنجيل المزيف أبعد الناس عن الإيمان بوعود الله وجعلهم يلتفتون إلى الجهد الإنساني لإطاعة ناموس كطريق للخلاص. وكما قال بولس في غلاطية إن هؤلاء الذين يتبعون الإنجيل الحقيقي بالإيمان بوعود الله هم أولاد سارة وورثة الوعد، ولكن أولئك الذين يتبعون الإنجيل المزيف هم أبناء هاجر وليسوا وورثة عطية الخلاص.

إن اهتمام بولس بالتحليل الأدبي، وانتباهه إلى الأساليب التي استخدمها موسى في استعماله للصور الأدبية في قصص سفر التكوين، قاده إلى تطبيق سفر التكوين بهذه الشدة على كنائس غلاطية.

علينا الآن أن نحول انتباهنا إلى ما يركز عليه التحليل الأدبي. ما الذي سيحوز على انتباهنا في هذه المقارنة لقانون العهد القديم؟ على ماذا يجب أن نركز؟

بالنسبة للهدف الذي نسعى إليه، ينبغي أن ينصبّ تفكيرنا على ثلاثة محاور. أولاً، نحن مهتمون بكاتب الفقرة؛ وثانياً، الجمهور الأصلي؛ وثالثاً، النص الفعلي الحالي. دعونا أولاً نفكر بأهمية الأخذ بالاعتبار كتابة العهد القديم.

بدون أي شك، الله هو المؤلف النهائي لكامل العهد القديم. ولكن كما رأينا في درس سابق، استخدم الله خلفيات، ومشاعر، وأفكار، ونوايا الكتبة الإنسانيين لكتابة أسفار العهد القديم، وينبغي أن نكون مهتمين بهذه العناصر البشرية بينما نحن نقرأ العهد القديم.

بينما نحن نفكر بالتركيز على الكتاب، علينا أن ننظر في اتجاهين: من ناحية أولى، عدد من المخاطر، ومن ناحية ثانية، عدد من الفوائد.

تتأتى أخطار كثيرة من جزاء التركيز على الكتبة الإنسانيين للعهد القديم عندما نشترك في عملية التخمين. في السابق ركز عدد كبير من المترجمين على الكتبة بطرق أدت إلى تخمينات اجتماعية ونفسية متشابكة. لقد فعلوا هذا بشكل جزئي بالتشديد على قضايا مثل: **التحديد الدقيق للكاتب، والظروف الخاصة التي واجهها، وتفاصيل دوافعه اللاهوتية.** وإذا حاولنا جاهدين أن نجد أجوبة أبعد مما نعرفه، نجعل تفسيراتنا تعتمد على تخمينات واستنتاجات ضعيفة. يمكن أن ندعو هذا النوع من التشديد القوي "المغالطة المقصودة"، أي إعطاء أهمية كبيرة جداً لإعادة تركيب نوايا ومقاصد الكاتب.

لكن من جهة أخرى، هناك فائدة كبيرة من جراء التركيز على الكاتب. قد لا نعرف أموراً كثيرة عن كتبة الكتاب المقدس كما نود أن نعرف، لكن ما زال بإمكاننا أن نحصل بدرجات متباينة على معرفة هامة عن هوياتهم، وظروفهم بشكل عام، ودوافعهم اللاهوتية الأساسية.

لنأخذ كمثال كاتب سفر أخبار الأيام، أو المؤرخ كما يدعى. لا نعرف بشكل مؤكد من كان هذا الشخص، أو موقفه الاجتماعي الدقيق، أو أين عاش أو لماذا كتب سفره. لا نعرف كثيراً عن ميوله النفسية أو مواطن قوته وضعفه الشخصية.

ومع هذا، نستطيع أن نستخلص معلومات قيّمة عنه من العهد القديم نفسه. مثلاً، نعرف أنّ كاتب أخبار الأيام عاش وكتب في وقت ما بعد السبي. إنّ هذه المعلومات مؤكدة لأن السلالات المذكورة في أخبار الأيام الأول 9:1-44 تشير إلى الذين عادوا، وأخبار الأيام الثاني 23:36 تذكر الأمر الذي أعطاه كوروش بأنه ينبغي رجوع اليهود إلى أرضهم.

ونعرف أيضاً أنه كان من بين النخبة المثقفة في اسرائيل. قد اقتبس من سفر صموئيل وسفر الملوك، وأشار إلى أسفار أخرى في الكتاب المقدس. ذكر كاتب سفر أخبار الأيام في فقرات مثل أخبار الأيام الأول 24:27 السجلات التاريخية الملوكية، وفي آيات مثل أخبار الأيام الثاني 9:29 أشار إلى مجموعة من الكتابات النبوية التي لا تظهر حتى في العهد القديم.

وبالإضافة إلى هذا، وبمقارنة أسفاره مع أسفار صموئيل والملوك، نعرف أنّ كاتب سفر أخبار الأيام كان لديه عدد من الالتزامات اللاهوتية الهامة جداً. ان ملتزماً جداً بحكم بيت داود وبنقاوة الهيكل في اورشليم. وأشار مراراً وتكراراً إلى ناموس موسى كدليل مرشد لإيمان اسرائيل والحياة فيها. ونعرف أيضاً أنه كان شديد الاهتمام بالطريقة التي بارك ولعن بها الله شعبه في جيل من الإخلاص وعدم الإخلاص.

لدينا معرفة كافية عن كاتب سفر أخبار الأيام لنستطيع بها أن نحلل الطريقة التي استخدم بها الأساليب الأدبية للتأثير على قرأته الأصليين. ولدينا معلومات إضافية أيضاً عن كتبة الكتاب المقدس الآخرين، ولذا فإن التركيز المنتظم على الكاتب في تفسيراتنا يمكن أن يكون أمراً مفيداً.

إنّ التحليل الأدبي المسؤول للعهد القديم يأخذ بالاعتبار أيضاً جمهور القراء الأصليين. ماذا كانت أوضاعهم؟ وكيف كانوا سيتأثرون بالأسفار المقدسة التي وصلتهم؟

مرة ثانية علينا أن نطلع على المخاطر والفوائد الناجمة عن التركيز على القراء الأصليين.

من جهة، كما أنّ بعض أشكال التحليل الأدبي تخمّن بعض التفاصيل المتعلقة بالقراء، فإنها تخمّن أيضاً تحديداً دقيقاً للقراء وتعيد تركيب تفاصيل معينة مرتبطة بظروفهم. وتذهب هذه الأشكال بعيداً في تخيل مواطن القوة والضعف لديهم. عندما تكون هذه المواقف مركزية في التفسير، فإننا نواجه خطر التخمين مرة أخرى. ولهذا السبب، فإن التركيز المفرط على القراء يمكن أن يدعى "المغالطة العاطفية".

في ذات الوقت، هناك فوائد كثيرة نستخلصها من أخذ القراء بالاعتبار. إننا نعرف أن القراء المستهدفين كانوا يفهمون اللغة العبرية القديمة مع أنهم لم يستطيعوا قراءتها، ونعرف أيضاً مكان إقامتهم. وغالباً ما نعرف بعض الأحداث الرئيسية التي عاينوها. ونعرف أن بعضهم كانوا مخلصين وبعضهم غير مخلصين، كما هو الحال بالنسبة لغالبية الناس.

على سبيل المثال، في حالة كاتب أخبار الأيام، لا نعرف بشكل مؤكد فيما إذا كان كاتب سفر أخبار الأيام قد كتب فقط لمجموعة مختارة من الناس، كالكهنة أو عائلة داود، أو لعامة الناس. ولا نعرف عدد الأشخاص الذين قاوموا رسالته أو اشتكوا منها. كما أننا لا نعرف بالتأكيد فيما إذا كانوا قد عاشوا قبل، أو أثناء، أو بعد زمن عزرا ونحميا. في هذه المرحلة ليس لدينا أية طريقة لتأكد من هذه الأمور، ويكون تفسيرنا أكثر دقة ومسؤولية إذا لم نخمن أو نستنتج أموراً معينة عن هذه الأحداث.

ومع ذلك، نحن لا زلنا نعرف الكثير عن القراء الأصليين. إن حقيقة أن الأنسال في أخبار الأيام الأول الأصحاح 9 تنتهي بقائمة من الأشخاص الذين رجعوا إلى الأرض، تشير إلى أن كاتب سفر أخبار الأيام قد كتب من أرض الموعد لأناس عاشوا هناك معه. ونستطيع أن نعرف الكثير أيضاً عن ظروفهم الاجتماعية العامة من أسفار مثل حجي، زكريا، ملاخي، عزرا، ونحميا. كانت العبادة في الهيكل ضعيفة في أفضل أحوالها، ولم يكن عرش داود قد تأسس. واجهت الأمة مصاعب اقتصادية، كما عانت إسرائيل من النزاعات والحروب. نستطيع أن نعرف هذه الأمور بدون تخمين أو استنتاج.

إن ما نعرفه عن القراء الأصليين يساعدنا على أن نقدر هدف سفر أخبار الأيام ومعناه الأصلي تقديراً أعمق. علينا أن نقرأ سفر أخبار الأيام على ضوء مانعرفه عن القراء الأصليين.

علينا أن نلتفت الآن إلى التركيز الثالث والرئيسي للتحليل الأدبي للعهد القديم: الاهتمام بالوثيقة نفسها.

سوف نستخدم كلمة "وثيقة" للدلالة على أي جزء من العهد القديم نركز أفكارنا وأنظارنا عليه، سواء أكانت جملة واحدة أو جملتين، أو آية واحدة أو آيتين، أو فقرة، أو أصحاحاً، أو جزءاً من سفر ما، أو السفر بكامله، أو مجموعة أسفار، أو حتى قانون العهد القديم بكاملها.

لسوء الحظ، وفي العقود الأخيرة، أكد عدد من المفسرين على أنّ الوثيقة نفسها هي كل ما نحتاجه للتفسير. ولكن في الواقع، لا يعتبر هذا الاتجاه سليماً لأن نفس الوثيقة، سواء كانت من الكتاب المقدس أم لا، قد تعني أموراً متعددة ومختلفة بناءً على مَنْ كتبها ولمن قد كُتبت. عندما يحاول المفسرون أن يركزوا حصراً على الوثيقة ويتجاهلون الكاتب والقراء، يقعون في خطأ يمكن لنا أن ندعوه "المغالطة الكتابية أو الخطية"، أي وضع الآمال الكثيرة على الوثيقة نفسها.

لكي نبيّن أهمية التدقيق بالوثيقة في سياق شخصية الكاتب والقراء، سوف نفحص **حكم الملك منسى في أخبار الأيام الثاني 1:33-20**، وهذه الفقرة موازية للفقرة في الملوك الثاني 1:21-18. إنّ كاتب أخبار الأيام نسخ، وغير، وحذف، وأضاف إلى الفقرة في الملوك الثاني 21 بطرق هامة جداً للتحليل الأدبي. دعونا نبدأ بالتركيز على السجل المذكور في سفر الملوك الثاني.

ينقسم الإصحاح الحادي والعشرون من سفر الملوك الثاني إلى خمسة أقسام متماثلة ومتناسقة: أولاً، الآية 1 وهي افتتاحية حكم منسى، ثانياً، الآيات 2-9، وهي خطية منسى في عبادة الأوثان؛ وثالثاً، الآيات 10-15، دينونة منسى النبوية؛ رابعاً، الآية 16، خطية منسى الإضافية وهي خطية العنف؛ وخامساً، الآيات 17-18، ختام حكم منسى.

كما يشير هذا المخطط في الملوك الثاني 21، فإن منسى يوصف بأنه إنسان شرير من البداية إلى النهاية. أول ما نعرفه عنه هو أنه خاطئ كبير، كان قد نجس الهيكل بالأصنام وشجّع الناس على ارتكاب الإثم أكثر مما فعله الكنعانيون. وفي الجزء الثالث من القصة، أعلن الأنبياء بأن خطية منسى ستؤدي إلى خراب أورشليم وسبي شعبها. والقسم الرابع من القصة يذكر أنّ منسى ملأ شوارع أورشليم بالدم البريء. والقسم الأخير يسرد لنا بأن منسى مات ودُفن. لا توجد أية صفة حميدة في حياة منسى في الأصحاح 21 من الملوك الثاني.

دعونا الآن ننقل إلى أخبار الأيام الثاني 33. هذا السجل لا يناقض سفر الملوك الثاني 21، لكنه يختلف عنه.

تتقسم الفقرة في أخبار الأيام الثاني 1:33-20 أيضاً إلى خمسة أقسام: أولاً، الآية 1، وهي افتتاحية حكم منسى وهي منسوخة بغالبيتها من سفر الملوك الثاني؛ ثانياً، الآيات 2-9، وهي تذكر عبادة الأصنام التي مارسها منسى مع وجود فرق طفيف عن سفر الملوك الثاني 1:21-19. إلى هذا الحدّ، يشابه سجل كاتب أخبار الأيام ما هو مذكور في سفر الملوك الثاني. لكن الأقسام الثالث والرابع والخامس من سفر أخبار الأيام الثاني 33 تختلف بشكل كبير عن سفر الملوك الثاني. في القسم الثالث، الآيات 10-13، قرر كاتب أخبار الأيام أن لا يُدرج النبوة الموجودة في سفر الملوك الثاني بأن يهوذا سيواجه السبي في المستقبل. وبدلاً عن هذا، فإن كاتب أخبار الأيام ذكر أنّ منسى نفسه كان سوف يُسبى إلى بابل. وهناك، تاب منسى عن خطاياه وحصل على المغفرة. ثم في القسم الرابع، الآيات 14-17، بدلاً عن ذكر العنف الذي مارسه منسى، يذكر كاتب أخبار الأيام بأن منسى عاد إلى أورشليم، وأعاد بناء المدينة، كما أعاد العبادة الحقيقية لله في الهيكل. وأخيراً، في أخبار الأيام الثاني 18:33-20، يعطينا ختام حكم منسى إشارة أخرى إلى صلاة التوبة التي رفعها الملك.

بالمقارنة مع سفر الملوك الثاني، فإن سجل كاتب أخبار الأيام أكثر إيجابية. يذكر كلا السجلان خطايا منسى الرهيبة؛ ويذكر لنا سفر الملوك الثاني دينونة الأنبياء على منسى بالإضافة إلى العنف الذي مارسه منسى ضد شعب أورشليم. لكن كاتب سفر أخبار الأيام حذف ولم يذكر هذه الأجزاء من القصة الموجودة في سفر الملوك الثاني. وبدلاً عن هذا، أضاف كاتب سفر أخبار الأيام أنّ منسى ذهب إلى السبي، وتاب، وغُفر له. وأضاف أيضاً أنّ منسى عاد إلى أورشليم، وأعاد المدينة والعبادة في الهيكل. وأخيراً، ومع أنّ كلا السجلين ينتهيان بموت منسى، إلا أنّ أخبار الأيام الثاني يضيف إشارة تذكّرنا بتوبة منسى.

عندما نأخذ بالاعتبار هذه الاختلافات بين السجلين المتماثلين في سفر الملوك الثاني وسفر أخبار الأيام الثاني، علينا أن نسأل سؤالاً أدبياً آخر. ما السبب في وجود اختلافات في هذين السجلين؟ ولماذا يقدمان لنا نظرة مختلفة عن حياة منسى؟

بالمختصر، يمكننا تفسير هذه الاختلافات فقط بالإشارة إلى حقيقة أنّ سفر الملوك الثاني وسفر أخبار الأيام قد كُتبا من قبل أشخاص مختلفين ولقراء مختلفين. كان لكل كاتب مقاصده الخاصة به عند كتابة سجل عن حكم منسى.

كما سندرك فيما بعد، كتب كاتب سفر الملوك بشكل رئيسي ليشرح للمسبيين في بابل السبب الذي من أجله تمّ طردهم من أرض الموعد. فكان تفسيره أنّ خطايا منسى قد جلبت هذه اللعنات على الأمة.

ولكن كما رأينا، فإن كاتب سفر أخبار الأيام قد كتب سجله بعد السبي ليعطي الحافز لتلك الجماعة التي عادت والتي كانت تواجه أوقاتاً صعبة، لتتطرق في خدمة الله بإخلاص.

لهذا السبب، أشار كاتب أخبار الأيام إلى أنّ حياة منسى كانت مشابهة لحياة قرائه من بني اسرائيل. منسى قد أخطأ بشكل كبير مثلهم، وذهب إلى السبي مثلهم. كما أنّ منسى قد تاب وغُفر له كما تابوا وغُفر لهم. والأمر الأكثر أهمية، عندما رجع منسى، بنى مدينة اورشليم وأعاد العبادة الحقيقية إلى الهيكل. ذلك كان التحدي الحقيقي الذي واجهه قراء كاتب أخبار الأيام في ذلك الزمن. فهل كانوا سيتبعون مثال منسى وبينون المدينة ويعيدون العبادة الحقيقية لله في اورشليم؟ فإذا كان الملك الذي كان السبب في سبي يهوذا أيضاً قد بنى المملكة وأعاد الملك فيها عندما رجع إلى الأرض، فإن قراء كاتب سفر أخبار الأيام سيفعلون الشيء ذاته.

هذا التحليل الأدبي الموجز لعهد الملك منسى في سفر أخبار الأيام الثاني الأصحاح 33 يظهر قيمة قدرة أدب العهد القديم على إبلاغ رسالته الموثوقة. بينما نحن نتأمل ملياً في الكتب، في القراء، وفي الخصائص الأدبية لوثائق العهد القديم، نستطيع أن نميز المقاصد الرئيسية التي لأجلها كُتبت الأجزاء المختلفة لقانون العهد القديم.

في هذا الدرس استكشفنا كيف أنّ قانون العهد القديم قد صُممت لإرشاد شعب الله ورأينا كيف خضع شعب الله لسلطة قانون العهد القديم بطرق رئيسة ثلاث. أولاً، باعتبارها كمرآة من خلال التحليل بحسب الموضوع، ناظرين إلى جميع المواضيع الواردة في فقرات العهد القديم بما فيها المواضيع الثانوية، لنجد أجوبة عن

الأسئلة التي تُثار في حياتنا. ثانياً، من خلال استخدام الكتاب المقدس **كنافذة** في التحليل الأدبي، رأينا أهمية الأحداث التاريخية التي يوردها العهد القديم. وبالنظر إلى العهد القديم **كصورة** من خلال التحليل الأدبي، تعلمنا كيف نتبين المقاصد الرئيسة أو التأثيرات الموجودة في فقرات العهد القديم.

بينما نتابع هذا المسح لقانون العهد القديم في دروس قادمة، سنعود إلى هذه المقاربات الثلاث مراراً وتكراراً. وهي سوف تساعدنا على أن نفهم كيف قادت قانون العهد القديم شعب الله في الماضي وكيف أنها لا تزال مرشدنا الموثوق به حتى اليوم.